رعاية المسنين في الإسلام

عبد الله بن ناصر السدحان

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد مضت سنة الله في الإنسان: أن جعله يمر بمراحل متعددة في رحلته الدنيوية، فيبدأ وليداً ضعيفاً، ثم شاباً قوياً، وأخيراً شيخاً ضعيفاً. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ (الروم: ٥٤) ولقد عنيت الشريعة برعاية هذا الإنسان منذ نعومة أظفاره، وحتى مماته.

ولئن كانت هذه الرعاية تمتد طوال حياة الإنسان فإن ما يهمنا هنا المرحلة الأخيرة منها، وهي: مرحلة الشيخوخة. فلقد حرص الإسلام على هذه المرحلة، وجعلها محطة تكريم وعناية خاصة، وأوصى بأهلها مزيد رعاية، واحترام وتوقير. ذلك أن صاحبها يتصف بالضعف وحاجته إلى الآخرين، لخدمته، والقيام بشئونه الدنيوية، فهي مرحلة عصيبة، ولا عجب أن الرسول ﷺ تعوذ منها. فلقد روى أنس - رضي الله عنه -: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم..»[1].

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى البُغا، دار القلم، بيروت، ١٤٠١هـ، جزء ٣، ص١٠٣٩.

وفي رواية أخرى تعوَّذ ﷺ من أن يُرَدَّ إلى أرذل العمر[٢].

ولقد تزايد في الآونة الأخيرة التنادي بالاهتمام بهذه الفئة، كما بُذلت جهود عملية لخدمتهم، وانصبَّت تلك الجهود على النواحي المادية الصرفة، فظهر ما يسمى بنظام التقاعد، والتأمينات الاجتماعية، وأخيراً تم تخصيص عام ١٩٨٢م سنة دولية للمُسنِّين بدعوة من الجمعية العامة للأمم المتحدة، لتركيز الجهد من أجل بحث قضايا المسنين ومناقشتها، ومعالجة مشاكلهم، وزيادة الاهتمام برعايتهم الاجتماعية، والصحية، والنفسية، والمعيشية.

وإن كان هذا التنادي بين الدول المعاصرة لم يبرز إلاَّ في السنوات الأخيرة، فإن الإسلام قد نظَّم هذا الأمر، وأكَّد عليه، قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، ولقد انعكس ذلك على سلوك وممارسات المسلمين في تعاملهم مع المسنين، وليس هذا فحسب. بل إن الرعاية التي منحها الإسلام لهذه الفئة تمتاز بشموليتها وتنوعها، كما سنرى في هذه الدراسة.

وتستهدف هذه الدراسة إبراز مظاهر رعاية المسنين في الإسلام ونشرها، وبخاصة أن مجتمعاتنا المسلمة تمر بتيار وتطور اجتماعي واقتصادي كبير، نتج عنه تغير في القيم والعلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، فتلاشى ما يسمى بالعائلة الممتدة التي كانت تضم الجد والأب والأبناء وزوجاتهم وأبناءهم في منزل واحد، وظهر ما يعرف بالأسرة النووية التي تعني استقلال الأبناء بزوجاتهم وأبنائهم في منازل مستقلة. وهذا قد يؤدي إلى قطع العلاقات بين صغار السن وكباره، بل أظهرت بعض الدراسات هذه البوادر[٣]، وما ذاك إلا نتيجة للابتعاد عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته في التعامل مع كبار السن.

---

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٣، ص١٠٣٩.

(٣) دراسة سوسيولوجية حول ظاهرة الشيخوخة، جلال الدين الغزاوي، جامعة الكويت، حوليات كلية الآداب، الحولية التاسعة، ١٤٠٨هـ، ص٢٦، وكذلك: نحو رعاية متكاملة للمسنين، نادية حليم، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، المجلد ٢٨، العدد الثاني، مايو ١٩٩١م، ص٢١٤.

كما تبرز أهمية هذه الدراسة بالنظر إلى الإحصاءات التي تظهر تزايد نسبة المسنّين في المجتمع، وارتفاع معدل طول العمر للفرد[٤]، وهذه الزيادة عائدة - بعد تقدير الله عز وجل - إلى التطور الصحي والخدمات الطبية التي تبذل للإنسان، مما أدى إلى قلة وفياتهم، وبالتالي تزايد أعدادهم. ولا شك أن زيادة عددهم في المجتمع يتطلب مزيدا من العناية بهم.

وهذه محاولة - أحسبها جادة - لعرض مظاهر رعاية المسنين في الإسلام وإبرازها، وكيف انعكس ذلك على المجتمع المسلم الأول سلوكاً وممارسة، بل امتدت رعاية الإسلام إلى غير المسلمين من المسنين متى كانوا يقيمون في دار الإسلام، وامتدت هذه الرعاية لهم حتى في وقت الحرب.

وسيتم عرض الموضوع وفق المحاور التالية:

الفصل الأول: المسنون ونظرة الإسلام للتغيرات المصاحبة لهم.

ويحوي المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف المسن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: المرتكزات التي تقوم عليها رعاية المسنين في الإسلام.

الفصل الثاني: أوجه رعاية الإسلام للمسنّين، ويحوي المباحث التالية:

المبحث الأول: رعاية الوالدين بوصفها مظهرا من مظاهر رعاية المسنين في الإسلام.

---

(٤) الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين، علي فؤاد أحمد، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ١٩٩٢، ص١٨٥. وعلى سبيل المثال كان متوسط عمر الفرد في المملكة العربية السعودية في الفترة (١٩٨٠-١٩٨٥م) يصل إلى (٥٠,٣) سنة، ويتوقع ارتفاع هذا المعدل إلى (٥٧,٥) سنة في الفترة (١٩٩٥-٢٠٠٠م)، أما نسبة من تجاوز عمره الستين عاما على مستوى العالم كله فقد بلغ (٨,٩٪) من مجموع سكان العالم عام ١٩٧٠م، وارتفع عام ١٩٩٠م إلى (٨,٩٪)، ويتوقع أن تصل نسبتهم إلى (٩,٣٪) من نسبة سكان العالم.

المبحث الثاني: رعاية صديق الوالدين بوصفها مظهرا من مظاهر رعاية المسنين في الإسلام.

المبحث الثالث: رعاية المسنين في المجتمع المسلم.

المبحث الرابع: رعاية المسنين غير المسلمين في الحرب من قبل جيوش الدولة المسلمة.

المبحث الخامس: بعض الأحكام الفقهية الخاصة بالمسنين.

وقد قمت بتأصيل جميع هذه المظاهر من القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع إيراد بعض الشواهد والوقائع أو الحوادث التي تبرز فيها رعاية المسنين ما أمكن ذلك، والله أسأل أن يكون هذا البحث منطلقا لتأصيل أوجه الرعاية الاجتماعية، وإبراز عظمة الدين الإسلامي المتمثلة في شموليته وتكامله. والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

الفصل الأول

المبحث الأول
تعريف المُسِنّ

المُسِنُّ في اللغة:

استعمل العرب كلمة (المُسِنّ) للدلالة على الرجل الكبير، فتقول: «أسَنَّ الرجل: كَبُر، وكَبُرت سِنُّه. يُسنُّ إسناناً، فهو مُسِنٌّ»[5]. كما تستخدم العرب ألفاظاً أخرى لوصف المراحل التي يمر بها كبير السن فتقول: (شيخ)، وهو: «من استبانت فيه السّنُّ، وظهر عليه الشيب»[6]، وبعضهم يطلقها على من جاوز الخمسين[7]، وقد تقول: (هَرِمٌ)، وهو «أقصى الكبر»[8]، وتقول كذلك: (كهل)، وجميع هذه الألفاظ تدل على كبر السن.

ونقل عن بعض الحكماء قوله: الأسنان أربعة: سن الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة[9]. إلا أنه يمكن ترتيب مراحل عمر الإنسان. استظهاراً من معاجم اللغة بعد مرحلة المراهقة - كالتالي: شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم هَرِم. فكل من تجاوز مرحلة الشباب - وهي الأربعين - فهو مُسِنٌّ في اللغة، ونلحظ أن آخر هذه المراحل هي مرحلة الهرم. والهرم - كما ذكر ابن حجر رحمه الله -،

---

(٥) لسان العرب، ابن منظور، جزء ١٣، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٢٢.

(٦) المنجد، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٥م، ص٤١٠.

(٧) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٤١٠هـ، ص٩٨٣.

(٨) لسان العرب، مرجع سابق، جزء ١٢، ص٦٠٧.

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ، جزء ١١، ص٢٤٠.

هو: الزيادة في كبر السن[١٠]، الذي هو أرذل العمر، كما أطلق عليه ابن الجوزي - رحمه الله[١١] -، وهذا الذي تعوَّذ منه الرسول (ﷺ) في قوله: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم..»[١٢]، كما عدَّ الرسول (ﷺ) هذه المرحلة آخر مرحلة قبل الموت فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ﷺ) قال: «بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنى مُطغياً، أو مرضاً مفسداً، . أو هرماً مُفَنِّداً، أو موتاً مُجهزاً..»[١٣]، وروى عبدالله بن الشخير عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية، إن أخطأته المنايا وقع في الهرم، حتى يموت»[١٤].

المُسِنُّ في الاصطلاح:

كثيراً ما يرتبط هذا اللفظ لدى بعض الباحثين في علم الاجتماع بسنٍّ معينة، وهي سن الستين؛ فيقال: المُسِن، هو: من تجاوز عمره الستين[١٥] ومن

---

(١٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، جزء ١١، مرجع سابق، ص١٧٨.

(١١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء ٤، ص٣٥٥. وذكر رحمه الله أنه مقدر من السنين على ثلاثة أقوال: أحدها: خمس وسبعون سنة. قاله علي رضي الله عنه، والثاني: تسعون سنة. قاله قتادة، والثالث: ثمانون سنة. قاله قطرب.

(١٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء٣، ص١٠٣٩.

(١٣) عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٩، ص١٨٥، وقال الترمذي حديث حسن غريب.

(١٤) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء٩، ص٢٨٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(١٥) انظر مثلا: نحو برامج مواجهة للعمل الاجتماعي مع المسنين، جنان العمري، في (دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي) مكتب المتابعة، البحرين، ١٩٨٥، ص٣٥٠. ودور طريقة تنظيم المجتمع في إشباع الاحتياجات الاجتماعية للمسنين، منى شويكة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الخدمة الاجتماعية، الرياض، ١٤١٤هـ، ص١٢. وبرامج رعاية المسنين ودور الخدمة الاجتماعية فيها، أسماء الخميس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤٠٩هـ، ص١٣، والمشاكل التي يعاني منها المسنون في المملكة العربية السعودية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، ثريا عبدالرؤوف جبريل، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للإخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، العددان ٣٤-٣٥، السنة ١١، يونيو ١٩٩٢.

المعلوم أن هذه المرحلة نسبية، وتتفاوت من فرد لآخر، فبعض من بلغ هذا العمر أو تجاوزه قد يكون نشيطاً، ولاتظهر عليه بوادر السن أو الشيخوخة، والعكس كذلك، فإننا قد نجد من هو دون هذا العمر وقد ضعف، واشتعل رأسه شيباً؛ لذا نستطيع القول: إن العمر التأريخي للإنسان يُعَدُّ معياراً غير دقيق لتحديد مرحلة وصفه بـ (المُسِنّ).

ومن هنا نجد بعضهم يتخذ أكثر من مقياس لتحديد هذه المرحلة، فيتخذ العمر الزمني مقياساً يتعامل به مع عدد السنين، والعمر البيولوجي، وهو مقياس وصفي يتناول الجوانب العضوية للإنسان، والعمر الاجتماعي، ويتناول فيه الأدوار الاجتماعية التي يمارسها الفرد وعلاقته بالآخرين، وأخيراً العمر النفسي، ويُحدَّد بالخصائص النفسية والتغيرات في سلوك الفرد وحاجاته ودوافعه[١٦]. وعلى ذلك عرَّف (أغا) المسِنّ بأنه: «مَنْ دخل طور الكبر» ثم يحدِّد الكبر بأنه «حقيقة بيولوجية تُمَيِّزُ التطور الختامي في دورة حياة البشر»[١٧]. كما نجد من يُعَرِّف المرحلة التي يصل إليها المسن تعريفاً وظيفياً، حيث يرى (إسماعيل) أنها «حالة يصبح فيها الانحدار في القدرات الوظيفية البدنية والعقلية واضحا، يمكن قياسه، وله آثاره على العمليات التوافقية»[١٨].

ومما تجدر الإشارة إليه: أن الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية قد عرفتا المسنّ تعريفاً إجرائياً للتعامل مع هذا المصطلح، وذلك بأن حدَّداه بمن تجاوز عمره الستين سنة[١٩].

---

(١٦) المتقاعدون: بعض مشكلاتهم الاجتماعية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، عبدالعزيز الغريب، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، ١٤١٦هـ، ص.ص٤٩-٥١.

(١٧) مشكلات التقدم في السن، كمال آغا، في (التقدم في السن - دراسة اجتماعية نفسية-)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ، ص١٥٧.

(١٨) الشيخوخة، عزت إسماعيل، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٣م، ص١٧

(١٩) الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين، مرجع سابق، ص١٧٨. وكذلك: نحو برامج مواجهة للعمل الاجتماعي مع المسنين، مراجعة سابق، ص٣٥٠.

وأياً كان الاختلاف فمن المؤكد أنه ليس هناك حدّ فاصل واحد نستطيع القول عنده: إن الإنسان قدأصبح مسناً، وبخاصة إذا تعاملنا وفق المقاييس السابقة مجتمعة وهي: العمر الزمني، والعمر البيولوجي، والعمر الاجتماعي، والعمر النفسي. ولكننا نستطيع القول: بأن المُسِنَّ هو: «كل فرد أصبح عاجزاً عن رعاية نفسه وخدمتها، إثر تقدمه في العمر وليس بسبب إعاقة أو شبهها». وبهذا نخرج من إشكالية تحديد السن الزمني الذي يتفاوت الناس فيه.

المبحث الثاني
التغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة ونظرة الإسلام تجاهها

يصاحب مرحلة الكبر لدى الإنسان ضعف عام، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ (الروم: ٥٤) فالإنسان يمر بثلاث مراحل رئيسية: ضعف، ثم قوة، ثم ضعف. ولكن هذا الضعف الأخير نسبي بين البشر عموما، والمؤمنين خصوصاً،وسيتضح ذلك بعد عرضٍ موجز للتغيرات المتعددة التي تصيب الإنسان في حالة كبره:

التغيرات الجسمية: تظهر بعض التغيرات المرئية على جسم الإنسان في حالة تقدمه في السن، مثل: تجعُّد الجلد، وجفافه، وثقل في السمع، وضعف في البصر، والشم، والحواس بشكل عام، وبطء الحركة، وترهل بعض العضلات، وتغير لون الشعر. كما أن هناك تغيرات جسمية غير مرئية، مثل ما يحدث من ضعف في العظام، وانخفاض لحرارة الجسم، نتيجة لقلة الحركة، إضافة لارتفاع نسبة إصابتهم ببعض الأمراض، مثل: ارتفاع ضغط الدم، والسكر، والقبض المزمن، والضعف الجنسي[٢٠].

---

(٢٠) طب الشيخوخة والمريض المسن، ستيفن وشرودر، ترجمة ماجد العطار، دار القلم العربي، سوريا، ١٤١٣هـ، ص٦.

التغيرات الاجتماعية: أبرز ما تتصف به هذه التغيرات لدى المسن تقلُّصُ علاقاتهم الاجتماعية، إذ تقتصر على الأصدقاء القدامى، ومن كان يسكن بقربه، نظراً لصعوبة تنقلاته، بسبب التغيرات الجسمية آنفة الذكر. كما ينتج عن هذا التغيُّر مظهر جديد في حياة المسن ألا وهو: الفراغ والعزلة، وذلك نتيجة للانسحاب المتبادل بين المسن والمجتمع، الذي يؤدي بدوره إلى ضيق الاتصال بالمجتمع، وإلى تدهور المشاركة الاجتماعية لديه(٢١)، وهذه المظاهر الجديدة في حياة المسن تساعد على بروز التغيرات النفسية التي يلي عرض لها:

التغيرات النفسية والانفعالية: ترتبط التغيرات النفسية بالتغيرات السابقة بشكل كبير، وإن كان ارتباطها بالتغيرات الاجتماعية يبدو واضحاً بشكل أكبر. وأبرز هذه التغيرات: تغيُّر مفهوم الفرد عن ذاته، وبروز القلق والاكتئاب والملل كمظهر جديد في حياة المسن، كما يصاحب ذلك توهم المرض، وكثرة الشكوى، والحساسية الزائدة، والإعجاب بالماضي، والعناد، والشك، وعدم الثقة في الآخرين، كما تتغير اهتمامات المسن، فتتركز حول الجوانب الشخصية، إضافة إلى أن «الاهتمامات الدينية تزيد مع التقدم في العمر»(٢٢).

التغيرات العقلية: من أبرز مظاهر هذه التغيرات لدى المسن: ضعف الذاكرة، والنسيان، وبخاصة المعلومات الحديثة، إضافة إلى ظهور خَرَفِ الشيخوخة لدى البعض، ويتمثل ذلك في تكرار الحديث مرات ومرات، وعدم التعرف على الأبناء والأقارب، كما تضعف القدرة على الإدراك والتعلم(٢٣).

---

(٢١) التوافق عند المسنين، هالة العمران، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ١٩٩٢م، ص٧١.

(٢٢) المتقاعدون، مرجع سابق، ص٥٦.

(٢٣) قضايا الشيخوخة، خالد الطحان، في (التقدم في السن - دراسة اجتماعية نفسية-)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ، ص١٣٤.

التغيرات الاقتصادية: عادة ما ينخفض دخل المسن، وهذا عائد في الغالب إلى إحالته للتقاعد عند بلوغه السن النظامية، وبالتالي يؤدي ذلك إلى عجزه عن تلبية العديد من الحاجيات، وبخاصة إذا اقترن ذلك بتوقع إصابة المسن ببعض الأمراض، وما تحتاجه من زيارات للطبيب وشراء الأدوية. فهو يعاني من انخفاض في الدخل مع تزايد في الأعباء المالية، ويصاحب ذلك الغلاء المتزايد للأسعار، وضعف القوة الشرائية للنقود، لذلك نرى بعض الدول تقوم بتعديل معاشات الأفراد المتقاعدين مرة كل سنة، وبعضها مرتين كل سنة، وبعضها مرة كل ثلاثة أشهر(٢٤). وكل ذلك لمواجهة هذه المتغيرات الاقتصادية في حياة المسن.

ولقد أفاض ابن الجوزي - رحمه الله - في وصف وتحليل هذه المرحلة - الشيخوخة - وما يصاحبها من التغيرات الجسمية والعقلية منها بخاصة، وكان له بذلك السبق على غيره من العلماء الذين كتبوا عن هذه المرحلة(٢٥).

ومما ذُكر من التغيرات تتضح عظمة القرآن ودقة تصويره للحالة التي قد يعيشها الإنسان في هذه المرحلة عندما وصفها الله عز وجل بأنها عودة إلى أرذل العمر في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ (النحل: ٧٠). وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو: أخسّه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القُوى، وتفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، ويحصل فيه قلة العلم، وسوء الحفظ، والخرف. وخصَّه

---

(٢٤) رعاية المسنين اجتماعيا، محمد سيد فهمي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص١١٩.

(٢٥) انظر في ذلك: تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ابن الجوزي، تحقيق: عرفة علمي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م، وكذلك: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: علي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق ١٣٩٩هـ، ط ١١٤ - ١٣٩ - ٢١٩ - ٢٩٠ - ٣١٥ - ٤٠١، وكذلك: التربية والشيخوخة، دراسة للأبعاد التربوية لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، حسن إبراهيم عبدالعال، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، العدد ٤٨، ١٤١٤هـ، ص.ص ١٥-٥٤.

الله بذلك لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد(٢٦).

إلا أن من المفسرين من ذكر أن بعض المؤمنين يُستثنون من حالة الردّ إلى أرذل العمر. قال القرطبي رحمه الله: «إن هذا لا يكون للمؤمن - يعني الخرف والرد إلى أرذل العمر -، لأن المؤمن لا يُنزع عنه علمه»(٢٧)، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: «ليس هذا في المسلمين، لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة» كما نُقِل عن عكرمة قوله: «من قرأ القرآن لم يُرَد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً»(٢٨)، وقال طاووس: «إن العالم لا يخرف»(٢٩)، وذكر السيوطي عن عبدالملك بن عمير أنه قال: «كان يقال: إن أبقى الناس عقولا قُرّاء القرآن»(٣٠).

وقال الشنقيطي في أضواء القرآن عند تفسير الآية السابقة: «إن العلماء العالمين لا ينالهم هذا الخرف وضياع العلم والعقل من شدة الكبر؛ ويستروح لهذا المعنى من بعض التفسيرات في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ (التين: ٥، ٦) وأن الاستثناء (إلا الذين آمنوا) فإنهم لا يصلون إلى حالة الخرف وأرذل العمر(٣١)، لأن المؤمن مهما طال عمره فهو في طاعة، وفي

---

(٢٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الباز، مكة المكرمة، جزء ٢، ص٥٧٧. وكذلك: فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٣، جزء ٣، ص٤٣٧. وكذلك: أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، جزء٣، ص٢٨٥.

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، جزء ١٠، ص١٤١.

(٢٨) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، جزء ٣، ص٢٨.

(٢٩) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٣، ص١٧٩.

(٣٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ، جزء ٥، ص١٤٦.

(٣١) قال بهذا القول كل من: ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وعطاء، والكلبي، وابن جرير الطبري انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٨هـ، جزء ٣٠، ص٢٤٤، وهناك من قال: إن المقصود بأسفل سافلين النار مثل: علي بن أبي طالب، ومجاهد، والحسن، وأبو العالية، وانتصر لهذا الرأي ابن القيم. انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ، جزء ٥ ص٢٧٠.

ذكر الله، فهو كامل العقل، وقد تواتر عند العامة والخاصة: أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته لا يُصاب بالخرف، ولا بالهذيان»[٣٢].

ونقل السيوطي عن عكرمة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ أنه قال: «ولا ينزل تلك المنزلة أحد قرأ القرآن»[٣٣] - أي حفظه - ونُقل عن محمد بن كعب القرظي قوله: «من قرأ القرآن مُتِّع بعقله، وإن بلغ من العمر مائتي سنة»[٣٤]، وجزم ابن فورك «أن صاحب البر تُنفى عنه الآفات في فهمه وعقله حال كبره»[٣٥].

وما تقدم ذكره يتناول حفظ الله لعقل المسلم العامل الحافظ للقرآن، أما عن حفظ الله لقوة المسلم عند كبره فقد ذكر ابن رجب عند شرحه لقوله (ﷺ) «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.. الحديث)[٣٦] أن من «حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله»[٣٧]، وفي الحديث أن رسول الله (ﷺ) قال: «عليكم بقيام الليل،

---

(٣٢) أضواء البيان، مرجع سابق، جزء٩، ص٣٣٤. ثم ذكر أن شيخ القراء بالمدينة المنورة الشيخ (حسن الشاعر) لازال على قيد الحياة عند كتابة هذه الأسطر وقد تجاوز المائة بكثير وهو لا يزال يقرىء تلاميذه القرآن، ويعلمهم القراءات العشر، وقد يسمع لأكثر من شخص يقرأون في أكثر من موضع، وهو يضبط على الجميع.

(٣٣) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء٨، ص٥٥٨.

(٣٤) البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، جزء ٩، ص٢٥٨. وكذلك صفة الصفوة. ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ، جزء ٢، ص١٣٣.

(٣٥) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١٠، ص٤١٦.

(٣٦) المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سليم سمارة وزملائه، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ، جزء ١، ص٣٧٧.

(٣٧) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ، جزء ١، ص٤٦٦.

فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٣٨]، والشاهد هنا: أن قيام الليل - وهو نوع من أنواع العبادة - يزيد في عافية البدن ويطرد الداء عن الجسد، وبالتالي يمتعه الله بقوته.

كما أظهرت الأبحاث الطبية الحديثة: أن الصوم يُطيل مرحلة الشباب، ويؤخر أعراض الشيخوخة[٣٩].

وتروي كتب السِّيَر حوادث عديدة تأكيدا لذلك الأمر، فهذا أبو الطيب الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة قوية لا يستطيعها الشباب فقيل له: ما هذا يا أبا الطيب؟ فقال: وَلِمَ؟ وما عصيت الله بواحدة منها قط[٤٠]. على العكس من ذلك رأى أحد السلف شيخا يسأل الناس فقال: إن هذا ضيّع الله في صغره، فضيّعه الله في كبره[٤١].

وبكل حال فغالب المسلمين لا يصلون إلى هذه المرحلة التي تحدث فيها هذه التغيرات، وهذا التدهور الصحي والبدني والنفسي؛ ذلك أن أعمار المسلمين غالباً بين الستين إلى السبعين. قال رسول الله (ﷺ): «أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»[٤٢] وهذا بشكل عام يشمل جميع المسلمين، إلا أنه يمكننا القول أيضاً: إن المسلم المؤمن الحافظ

---

(٣٨) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، باب الدعوات. وذكره الألباني في صحيح الجامع ج٤، ص٥٠.

(٣٩) مجلة الفيصل، عدد ٢٤٣، رمضان ١٤١٧هـ، ص٤٢.

(٤٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، جزء ١٧، ص٦٧٠.

(٤١) جامع العلوم والحكم، مرجع سابق، جزء ١، ص٤٦٦.

(٤٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٢، ص٤٢٧، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ٢، حديث رقم ٧٥٧.

لحدود الله الحافظ للقرآن لا تصيبه التغيرات التي تحدث للإنسان في مرحلة الشيخوخة، وبخاصة التغيرات الجسمية، والعقلية، والنفسية، وإن حدثت فهي أقل ولا شك مما يصيب الآخرين، أو تتأخر فلا تحدث إلا في آخر أيامه. ولعل مما يعضد هذا الرأي: ما رواه ابن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: قلّما كان رسول الله (ﷺ) يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا... الحديث»[٤٣]. والوارث: هو الباقي، والمراد: إبقاء قُوَّتِه إلى وقت الكبر. وروى الإمام مالك - رحمه الله - في الموطأ: أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو فيقول: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكناً، أمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك»[٤٤]، والشاهد هنا: أنه لو لم تكن إمكانية إبقائها والتمتع بها إلى آخر لحظة في العمر واردة وممكنة لما دعا الرسول (ﷺ) بهذه الدعوات، وشرع لأمته أن تدعو بها من بعده.

يضاف إلى ذلك: أن الرسول (ﷺ) دعا لبعض أصحابه بطول العمر، ولو كان طول العمر شرّاً للمؤمن أو سوءاً ما دعا به (ﷺ) لأصحابه، ولما شرع لأمته من بعده أن تدعو به، ففي الحديث الذي يرويه أنس رضي الله عنه: أن رسول الله (ﷺ) دعا له فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، واغفر له»[٤٥]، ولقد طالت حياته - رضي الله عنه - وعاش بعد هذه الدعوة، وتوفي وعمره قد جاوز المائة عام، وفي الحديث الآخر: أن أم قيس - رضي الله عنها - قالت: توفي ابني فجزعت عليه، فقلت للذي

---

(٤٣) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ١٣، ص٣١، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤٤) موطأ الإمام مالك، إعداد أحمد عرموش، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص١٤٢.

(٤٥) الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٢٢٣.

يغسله: لا تغسل ابني بالماء البارد وتقتله. فانطلق عكاشه بن محصن إلى رسول الله (ﷺ) فأخبره بقولها، فتبسم، ثم قال: «ما قالت طال عمرها»؟ قال: فلا أعلم امرأة عُمّرت ما عُمّرت[٤٦]، بل عدَّ الرسول (ﷺ) طول العمر من السعادة، فقد أخرج الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده: أن الرسول (ﷺ) قال: «...وإن من السعادة: أن يطول عمر العبد، ويرزقه الله الإنابة»[٤٧]، كما أن الله إذا أراد بقوم خيراً مدَّ لهم في العمر، فيروى: أن رسول الله (ﷺ) قال: «إذا أراد الله بقوم خيراً مدَّ لهم في العمر، وألهمهم الشكر»[٤٨]. ولذا استدل كثير من العلماء بهذه الأحاديث لجواز الدعاء للإنسان بطول العمر.

كما أن الله يكافيء بعض عباده الأصفياء بإطالة أعمارهم، وإحيائهم في عافية إلى أن يقبض أرواحهم، روى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه-: أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن لله عباداً يضن بهم عن الفناء، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية...» الحديث[٤٩].

ولقد دلنا الرسول (ﷺ) على بعض الأعمال التي بسببها يطول عمر الإنسان، وعدَّ إطالة العمر جزاء لهذه الأعمال الفاضلة، ومن ذلك: بر الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، وتقوى الله. روى أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله (ﷺ) قال: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»[٥٠] قال ابن حجر: يُنسأ له في أثره، أي: يؤخر في

---

(٤٦) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٢٢٢، وكذلك المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص٣٩٩.

(٤٧) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص٤٢٢، وقال الهيثمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، جزء ١٠، ص٢٠٦.

(٤٨) التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، بدون تاريخ، جزء ١، ص٢١٧، وقال الهيثمي: فيه جعفر بن محمد الواسطي الوراق، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد، مرجع سابق، جزء ١٠، ص٢٠٦.

(٤٩) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٢٣٢.

(٥٠) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١٠، ص٤١٦.

أجله[٥١]، وقال الترمذي: الزيادة في العمر[٥٢]. وحدثت عائشة رضي الله عنها: أن النبي (ﷺ) قال: «إنه من أعطي حظّه من الرفق، فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»[٥٣]، وروى سهل بن معاذ عن أبيه- رضي الله عنهما - قال: قال النبي (ﷺ): «من برَّ والديه طوبى له، زاد الله عز وجل في عمره»[٥٤]، كما ورد عن الرسول (ﷺ) قوله: «لا يردد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البرّ»[٥٥].

ولقد فسَّر بعض العلماء رحمهم الله زيادة العمر بأنها البركة في العمر، وبعضهم أوَّلها بالذكر الحسن بعد وفاة الإنسان، فلا يضمحل ذكره في الدنيا سريعاً، وبعضهم قال: إن الزيادة في العمر هي الذرية الصالحة يدعون له من بعده[٥٦]. وقيل أيضا: إن الزيادة في العمر: نفي الآفات، والزيادة في الأفهام والعقول والبصائر، كما قيل: إن المقصود بزيادة العمر: السعة في الرزق، واليَسَار والزيادة فيه، لأن الفقر موت، كما في الأخبار: إن الله تعالى أعلم موسى - عليه السلام - بأنه يموت عدوّه، ثم رآه بعد ذلك، ينسج الخوص، فقال: يا ربُّ وعدتني أن تميته. قال: قد فعلت، ذلك لأني أفقرته[٥٧].

والذي يترجح: أن زيادة العمر الواردة في الآثار السالفة هي على حقيقتها،

---

(٥١) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص١٥٠.

(٥٢) المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص١٨١، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ٢، حديث رقم ٥١٩.

(٥٣) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٢٤.

(٥٤) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، جزء ١، ص٤٩٣. وقال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي.

(٥٥) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١٠، ص٤١٦.

(٥٦) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان، مرعي المقدسي الكرمي الحنبلي، تحقيق: مشهور حسن محمود سليمان، دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ، ص.ص ٥٨-٥٩.

(٥٧) إرشاد ذوي العرفان، مرجع سابق، ص٤١.

لكثرة القائلين به من الصحابة، والتابعين، ومنهم: عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وابن وائل، وكعب، وجمع غفير[٥٨]. وهو القول الذي رجحه كل من شيخ الإسلام بن تيمية، والسيوطي، وابن حجر - رحمهم الله - واختاره الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - رحمه الله -[٥٩].

ولقد انتصر لهذا القول الأخير الشوكاني - رحمه الله - في رسالة نفيسة، جمع فيها الأقوال، ورجح أن الزيادة في العمر على حقيقتها إذا عمل الإنسان لذلك، وقام بالأسباب التي تزيد في العمر، والمذكورة في الآثار السابقة[٦٠]، وكذلك ممن انتصر لهذا القول: الشيخ أحمد المفتي بغلبة - رحمه الله - وهو من علماء الدولة العثمانية في رسالة صغيرة[٦١].

وهناك من العلماء: من قال بعدم الزيادة في العمر، وذلك خروجاً من إشكال قد يرد، وهو التعارض مع ما تقرر أن الآجال مضروبة ومقدرة، أخذاً من حديث أم حبيبة زوج النبي (ﷺ) عندما قالت: اللهم امتعني بزوجي رسول الله (ﷺ)، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. فقال رسول الله (ﷺ): «قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل حله، أو يؤخر شيئاً عن حله...» الحديث[٦٢].

---

(٥٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، بدون تاريخ، جزء ٨، ص٥١٧، وابن حجر في: فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١١، ص٤٨٨، وانظر قول السيوطي في: إرشاد ذوي العرفان، مرجع سابق، ص٦٠، وانظر قول ابن سعدي - رحمه الله - في بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبدالرحمن بن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، مركز ابن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١٢هـ، ج٢، ص١٦٠.

(٥٩) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عيل المقطري، مكتبة دار القدس، صنعاء، ١٤١١هـ.

(٦٠) رسالة فيما يزيد الأعمار وبردّ القضاء، أحمد المفتي بغلبة، تحقيق: عامر الزيباري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ، ص٤٥.

(٦١) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص٥٥.

(٦٢) إرشاد ذوي العرفان، مرجع سابق، ص.ص ٦٠-٦١.

ولقد حقق الشيخ مرعي المقدسي - رحمه الله - هذه المسألة تحقيقا مستفيضا، في رسالة جامعة، أورد فيها أدلة القائلين بمنع الزيادة في العمر، وأدلة القائلين بالزيادة في العمر، وردود كل فريق على الآخر، وانتهى إلى قول السيوطي - رحمه الله -: إنه قد تظاهرت الأحاديث والآثار على زيادة العمر ونقصه، بالنسبة لما في اللوح المحفوظ، إو برز إلى الملائكة، لا بالنسبة إلى ما علم الله تعالى، فإن علمه أزلي لا يتغير، والأشياء كلها واقعة على وفق علمه في الأزل، من غير زيادة ونقص. فعلم الله لا يتغير ولا يتبدل، ومافي اللوح المحفوظ، يغيّر ويبدل، وهذا ما يقول به كل من شيخ الإسلام، وابن العربي المالكي، وابن حجر، والشوكاني - رحمهم الله -[٦٣].

ويتلخص من كل ما سبق: أن الزيادة في العمر على حقيقتها، له مستند من الشرع، وهو مقتضى النصوص، وبه قال عدد من الأئمة والعلماء - رحمهم الله - كما أنه أمر مرغوب وهو من السعادة في الإسلام إذا اقترن بالعمل الصالح، ويُدعى به للآخرين، بل يكافيء الله عز وجل بعض عباده بإطالة أعمارهم في الدنيا حين قيامهم ببعض الأعمال الفاضلة، كما أن الله يُمتّع عباده المؤمنين بقواهم وسمعهم وبصرهم وعقولهم إثر أعمال صالحة نشأوا عليها.

ولا يعني هذا إغفال الأسباب المادية الأخرى، مثل: الاعتدال في الطعام والشراب، والابتعاد عن المحرمات، من المأكولات والمشروبات، فإن لها دوراً لا ينكر في إطالة العمر - بإذن الله - مع أعمال البر الأخرى.

بقيت الإشارة في هذا الخصوص إلى أن هناك محاولات لعلاج أمراض الشيخوخة والهرم الذي يصيب بعض الناس في كبرهم، وهذه المحاولات تكثر في العالم الغربي بشكل واضح، وقد ينجرف معها بعض الأطباء المسلمين، إلا أن هذه المحاولات مكتوب لها الفشل مسبقا، بنص حديث

---

(٦٣) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١١٠، ومختصر سنن أبي داود، الحافظ المنذري، تحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٥، ص٣٤٦. وعارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص١٩٢. وقال الترمذي: وفي الباب عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن خزامة عن أبيه، وابن عباس، وهذا حديث حسن، صحيح.

رسول الله (ﷺ) الذي رواه أسامة بن شريك - رضي الله عنه -: أن الأعراب قالت: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم يا عباد الله، تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، إلا داء واحدا. قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: الهرم»[٦٤].

ومن هنا يتضح: أنه لا علاج للشيخوخة أو الهرم وفق حديث رسول الله (ﷺ)، ولكن بالتزام الإنسان المسلم حدود الله وحفظه للقرآن مع أخذه بالأسباب المادية الأخرى مثل الاعتدال في الطعام والشراب... الخ قد تنعدم أعراض الشيخوخة، أو تتأخر على الأقل. أما علاجها بشكل كامل كما تجري المحاولات الآن فذاك مما لا يمكن.

المبحث الثالث

المرتكزات التي تقوم عليها رعاية المُسنِّين في الإسلام

تقوم رعاية المسنين في الإسلام على مرتكزات عدة، تنطلق منها أوجه الرعاية التي تُقَدَّم لهذه الفئة من المجتمع، وأبرز هذه المرتكزات ما يلي:

١- الإنسان مخلوق مكرم، ومكانته محترمة في الإسلام:

لقد أسجد الله له ملائكته حين خلقه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ (ص: ٧١-٧٣) وهو سجود إكرام وإعظام واحترام، كما ذكر المفسرون[٦٥] وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء: ٧٠) فالمُسِنُّ له منزلته ومكانته

---

(٦٤) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، جزء ٤، ص٤٣.

(٦٥) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ٢٢٣٨.

في الإسلام بشكل عام، أخذاً من عموم الآيات، إلا أنه مع ذلك له منزلة خاصة، ستتبين في ثنايا هذا المبحث.

٢- المجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك متوادّ:

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح: ٢٩) وقال تعالى واصفا المؤمنين: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ (البلد: ١٧) ويصف الرسول (ﷺ) المؤمنين بأنهم كالجسد الواحد، وذلك فيما رواه النعمان بن بشير - رضي الله عنهما -: أن رسول الله (ﷺ) قال: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[٦٦]. وفي رواية عنه - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»[٦٧]، وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي (ﷺ) قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٦٨] وذكر جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قول الرسول (ﷺ) «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[٦٩] كما أخرج الترمذي عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله

---

(٦٦) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الباز، مكة المكرمة، بدون تاريخ، جزء ٨، ص٢٠، وكذلك المسند، مرجع سابق، جزء ٤، ص٣٧٦.

(٦٧) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص١٤.

(٦٨) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٦، ص٢٦٨٦.

(٦٩) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٨، ص١١١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(ﷺ) قال: «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٧٠)، وأخرج الإمام أحمد - رحمه الله - عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه -: أن النبي (ﷺ) قال: «إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم لأهل الإيمان، كما يألم الجسد لما في الرأس»(٧١).

ولعظم قيمة التراحم عدَّ رسول الله (ﷺ) الذي لا يرحم البشر عموماً من الخاسرين. ففي الحديث: «خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر»(٧٢)، كما دلَّنا (ﷺ) على طريقة تكفل للمجتمع المسلم أن يكون مجتمعا متحاباً متراحماً فيما بينه، فيروي أبو هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله (ﷺ) قال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلاَ أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٧٣).

٣- المجتمع المسلم مجتمع متعاطف متكاتف متعاون:

لقد حضَّ الإسلام وحرص على جعل المجتمع المسلم متآزراً متعاوناً، يشد بعضه بعضاً، وذلك من خلال الحثِّ المتواصل لأفراده على خدمة بعضهم بعضاً، وتفريج كرب إخوانهم المسلمين، وإدخال السرور على أنفسهم، وكفّ ضيعتهم، ورتَّب على ذلك الأجر الجزيل، وعدَّه رسول الله (ﷺ) من أفضل الأعمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ﷺ) سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «أفضل العمل أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورا،

---

(٧٠) المسند، مرجع سابق، جزء ٥، ص٤٢٤.

(٧١) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ١، ص٥١١، وأدرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير، جزء ٣، حديث رقم ٤٥٧.

(٧٢) المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص٦٣٠. وكذلك: الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٠٢، مع اختلاف في اللفظ، واللفظ المثبت لأحمد في المسند.

(٧٣) الترغيب والترهيب، المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٣، ص١١٧. وأدرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، الجزء السادس، حديث رقم ٢٧١٥.

أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»[٧٤]. كما جعل عون الرجل لأخيه المسلم صدقة، يتصدق بها عن نفسه في كل يوم، فعن ابن عباس - رضي الله عنه -: أن رسول الله (ﷺ) قال: «في ابن آدم ستون وثلاثمائة سلامى، أو عظم، أو مفصل، على كل واحد في كل يوم صدقة، كل كلمة طيبة صدقة، وعون الرجل أخاه صدقة. . .» الحديث[٧٥].

ولقد وصف رسول الله (ﷺ) حال المؤمن مع أخيه المؤمن في المجتمع المسلم بأبلغ عبارة وأدق وصف، وذلك فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (ﷺ): أنه قال: «المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه»[٧٦]، وأخرج مسلم - رحمه الله-: أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٧٧].

ويتواصل الحث من الرسول (ﷺ) لأفراد المجتمع المسلم بأن يتعاونوا، ويكونوا في خدمة بعضهم بعضا، والتساعد لقضاء حوائج بعضهم البعض. روى جابر - رضي الله عنه - حدثنا عن الرسول (ﷺ)، وفيه: «. . . ومن يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته»[٧٨]، ويا له من عون للإنسان عندما يكون الله في حاجته، ولكن ذلك لا يتحقق إلا حينما يكون المسلم في حاجة أخيه المحتاج لأي نوع من أنواع الحاجة.

ولقد وجَّه الرسول (ﷺ) أمته إلى نفع الناس، وإدخال السرور على أنفسهم، وكشف كربهم، وعدَّ مَنْ يفعل ذلك بأنه أحب الناس إلى الله، كما أخبر ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله (ﷺ) قال: «أحب الناس إلى الله تعالى:

---

(٧٤) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٥٢.

(٧٥) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٩٥.

(٧٦) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ١، ص٤٩.

(٧٧) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص٨٦٣، وكذلك صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص١٨.

(٧٨) المعجم الكبير، مرجع سابق، جزء ١٢، ص٤٥٣.

أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله - عز وجل -: سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة. . .» الحديث[٧٩].

٤- توقير الكبير وإكرامه والتشبه به سمة من سمات المجتمع المسلم:

يتصف المجتمع المسلم بصفات كريمة، منها:

توقير الكبير في السن، وقد تواتر حثُّ رسول الله (ﷺ) على إكرام الكبير، وتوقيره، ومن ذلك: ما أخرجه البخاري - رحمه الله - عن أبي موسى - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم. . .» الحديث[٨٠] كما أخرج الترمذي - رحمه الله - عن أنس رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي (ﷺ)، فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي (ﷺ): «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»[٨١]، وذكر بعض العلماء: أن مقتضى هذه الصيغة وهي قول الشارع عليه الصلاة والسلام (ليس منا. .): التحريم، ومن العلماء من جعلها كبيرة[٨٢]، وأخرج الإمام أحمد - رحمه الله - عن أنس - رضي الله عنه -: أنه قال: (. . .جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكة يحمله، حتى وضعه بين يدي رسول الله (ﷺ). فقال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر: لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه. . .» الحديث[٨٣].

---

(٧٩) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٣٠، وكذلك: سنن أبي داود، الحافظ أبي داود، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٦٧٧.

(٨٠) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، ج٨، ص١٠٧، وكذلك، الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٣٠ مع اختلاف في اللفظ، واللفظ المثبت للترمذي.

(٨١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح الحنبلي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٩٧٧م، جزء ١، ص٤٧١.

(٨٢) المسند، مرجع سابق، ج٣، ص٢٠٢، وكذلك: مسند أبي يعلى الموصلي، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢١٦، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ١، حديث رقم ٤٩٦.

(٨٣) كتاب فردوس الأخبار، الديلمي، تحقيق: فواز الزمرلي، ومحمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، جزء ٢٢ ص٢٨٢ وكذلك التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ١، ص٥٣٠، وقال المناوي - رحمه الله - عن إسناده: وفيه من لا يعرف. . . ولكن تعدد طرقه يجبره ٠١٢٢هـ، وأدرجه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، جزء ٣، ص١٣٨، حديث رقم ٢٩١٠.

وفي الحديث: أن رسول الله (ﷺ) قال: «خير شبابكم من تشبه بكهولكم...»[٨٤] الحديث، ويروى عن رسول الله (ﷺ): أنه قال: «إن الله يحب ابن العشرين إذا كان شبيه ابن الثمانين...»[٨٥] الحديث.

وذكر ابن حجر - رحمه الله - في الفتح حديثاً فيه توجيه إلهي كريم باحترام الأكابر وتقديرهم، وهو: قول الرسول (ﷺ): «أمرني جبريل أن أقدم الأكابر»[٨٦]. كما أورد الهيثمي عن معاذ بن جبل: أن رسول الله (ﷺ) قال: «إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه»[٨٧]. وروى الصنعاني في المصنف عن طاووس عن أبيه قال: (من السنة أن يوقَّر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد...)[٨٨]، وتأكيداً لذلك عقد البخاري رحمه الله ثلاثة أبواب في كتابه الأدب المفرد وهي: (باب فضل الكبير)، و(باب إجلال الكبير)، و(باب يبدأ الأكبر بالكلام والسؤال).

٥- المُسِنُّ ذو الشيبة المسلم له منزلة ومكانة متميزة في الإسلام:

وذلك بما ألبسه الله من ثياب الوقار بشيبه، فلقد روى كعب بن مرة - رضي الله عنه -: أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»[٨٩]. وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول

---

(٨٤) كتاب فردوس الأخبار، مرجع سابق، جزء ١، ص١٩٧، وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، جزء ٥، ص١١٧، حديث رقم ٢٠٩٨.

(٨٥) فتح الباري، مرجع سابق، جزء ١، ص٣٥٧، وكذلك المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص١٨٤. واللفظ لابن حجر.

(٨٦) مجمع الزوائد، مرجع سابق، جزء ٧، ص١٩.

(٨٧) المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، جزء ١١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٢هـ، ص١٣٧. كذلك: شرح السنة، البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، جزء ١٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٤١.

(٨٨) عارضة الأحوذي، ج٧، ص١٣٠، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٨٩) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٣٠ وكذلك سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء ٢، ص٦٧٧، وكذلك: رياض الصالحين، النووي، تحقيق: عبدالعزيز رباح، وأحمد الدقاق، دار الوراق، الرياض ١٤١٦هـ، ص١٤٨، وقال النووي: حديث حسن.

الله (ﷺ): «إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم...» الحديث[٩٠]، كما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - أنه قال: (نهى رسول الله (ﷺ) عن نتف الشيب، وقال: «هو نور المؤمن»، وقال: «ما شاب رجل في الإسلام شيبة إلا رفعه الله بها درجة، ومحيت عنه بها سيئة، وكتبت له بها حسنة»)[٩١]. وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه قال: «كان إبراهيم - عليه السلام - أول الناس ضيّف الضيف، وأول الناس اختتن، وأول الناس قصَّ الشارب، وأول الناس رأى الشيب فقال: يا رب ما هذا؟ فقال الله تبارك وتعالى: وقار يا إبراهيم. فقال: يا رب، زدني وقارا»[٩٢].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من مُعمَّر يعمَّر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلايا: الجنون، والجذام، والبرص. فإذا بلغ خمسين سنة ليَّن الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يُحب، فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله، وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته، وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسُمِّي أسير الله في أرضه، وشفَّع لأهل بيته»[٩٣]. كما روى أنس - رضي الله عنه - -

---

(٩٠) المسند ج٢، ص٢٧٤، وكذلك: سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، جزء ٢، ص١٢٢٦، وقال الألباني: حديث حسن صحيح انظر: صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص٣٠٤.

(٩١) موطأ الإمام مالك، مرجع سابق، ص٦٦٠.

(٩٢) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص٢٧٥ وأدرجه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، جزء ٤، حديث رقم ٤٠٤٧، وقد رد الشيخ أحمد شاكر على ابن الجوزي لإيراده هذا الحديث في كتابه الموضوعات، وقوّى معنى الحديث، وذكر له طرقاً. انظر: جامع الأحاديث القدسية، أبو عبدالرحمن عصام الدين الصبابطي، ١٩٩١م، جزء ٣، ص٤٣٥.

(٩٣) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي التميمي، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، بيروت، جزء ٦، ص١٥٣، وقال الهيثمي، رواه أبو يعلى، وفيه: نوح بن ذكوان وغيره من الضعفاء، مجمع الزوائد، مرجع سابق، جزء ٥، ص١٦٢.

أيضا - عنه (ﷺ): أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: إني لأستحي من عبدي وأمتي فتشيب لحية عبدي ورأس أمتي في الإسلام أعذبها بعد ذلك»[٩٤]، وعنه رضي الله عنه أنه قال: «لقد قبض الله عز وجل رسوله وما فضحه بالشيب، ما كان في رأسه ولحيته يوم مات ثلاثون شعرة بيضاء وقيل له: أفضيحة هو؟ قال: أما أنتم فتعدونه فضيحة، وأما نحن فكنا نعده زينا»[٩٥].

٦- وجوب تقديم الرعاية الشاملة للمسن من قبل الدولة:

ذلك أن المُسِنَّ يدخل ضمن الرعية التي يُعَدُّ أمام المسلمين راعياً لهم ومسؤولاً عنهم، كما في حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «كلكم راع، ومسئول عن رعيته، فالإمام راع، وهو مسئول عن رعيته...»[٩٦].

وهذه المسؤولية التي تلزم إمام المسلمين تجاه رعيته - ومن بينهم المسنين - هي مسؤولية شاملة لجوانب الرعاية كلها، وما تحمله من وجوه ومعان. فالرعاية اقتصادية، واجتماعية، وطبية، ونفسية... الخ، فعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يُحِطْها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة»[٩٧]. ومعنى (لم يحطها): لم يتعهد أمرها ويحفظها.

وفي صحيح مسلم: أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من أمير يلي أمر المسلمين لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة»[٩٨]. كما أن ولي أمر المسلمين هو المسؤول الأول والأخير عن الضعفاء في المجتمع، فقد روى جابر - رضي

---

(٩٤) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص١٨٣.

(٩٥) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص٨٤٨، وكذلك: صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٦، ص٨، واللفظ للبخاري.

(٩٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٦، ص٢٦١٤.

(٩٧) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٦، ص٩.

(٩٨) صحيح سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص٥٣.

الله عنه - أن الرسول (ﷺ) قال: «من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً[99] فعَلَيَّ وإليَّ، وأنا أولى بالمؤمنين»[100].

وبعد، فهذه أبرز المرتكزات التي تنطلق منها جميع أوجه الرعاية المُقَدَّمة للمسنين في الإسلام، وتقوم عليها، وفي الفصل التالي عرض لهذه الأوجه.

الفصل الثاني

المبحث الأول
رعاية الوالدين باعتبارها مظهراً من مظاهر رعاية المسنين

لقد أوصى الله بالوالدين خيرا، وأمر ببرِّهما وجعل الإحسان إليهما قرين عبادته. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ (الإسراء: ٢٣) كما جعل شكره قريناً لشكر الوالدين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (لقمان: ١٤) وفي جعل الشكر لهما مقترنا بالشكر لله دلالة على أن حقَّهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها[101]، وعكس ذلك فقد جعل الشرك قرين العقوق لهما، فلقد روى أنس - رضي الله عنه - أن الكبائر ذُكرت عند رسول الله (ﷺ) فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين. . .»[102].

---

(٩٩) صحيح سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص٥٣، والضياع: اسم ماهو في معرض أن يضيع إن لم يتعهد، كالذرية الصغار والزمني.

(١٠٠) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٤، ص٢٣٨.

(١٠١) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٢٣٠.

(١٠٢) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٥٨.

ولقد نهى الله - عز وجل - عن نهرهما بأدنى الكلمات، وهي: أف، ونقل السيوطي عن الديلمي: أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: «لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أف لحرَّمه»[١٠٣]

ولقد أتى بِرُّ الوالدين في المرتبة الثانية بعد الصلاة في محبة الله، بل ومقدم على الجهاد في سبيل الله، لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله (ﷺ): أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»[١٠٤].

والوالدان هما مفتاح الجنة للابن، فببرهما يدخل الجنة، وبخاصة من أدرك أبويه عند الكبر، لما أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله (ﷺ) قال: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه. قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عنده الكبر: أحدهما، أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»[١٠٥].

ولقد قدَّم الرسول (ﷺ) بِرَّهما على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ) يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد»[١٠٦].

ثم جعل الله - تعالى - رضاه في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما، قال الرسول (ﷺ): «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»[١٠٧]، بل جعل للوالد حرية التصرف في مال الابن أخذاً من حديث

---

(١٠٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص١٩٧.

(١٠٤) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص٥.

(١٠٥) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص٣.

(١٠٦) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جـ٨، ص٩٥.

(١٠٧) سنن ابن ماجه، مرجع سابق، جزء ٢، ص٧٦٩. قال المحقق: رجاله ثقات، على شرط البخاري، وفي الزوائد: إسناده صحيح، وذكره الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ١٤٩٨.

جابر بن عبدالله - رضي الله عنه -: «أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح - يستأصل - مالي، فقال رسول الله (ﷺ): أنت ومالك لأبيك»(١٠٨)، قال الترمذي: «والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي (ﷺ) وغيرهم، قالوا: إن يد الوالد مبسوطة في مال ولده يأخذ ما يشاء، وقال بعضهم: لا يأخذ من ماله إلا عند الحاجة إليه» أ.هـ(١٠٩).

ولقد بيَّن الرسول (ﷺ) أن برَّ الوالدين سببٌ لإطالة العمر، وزيادة الرزق. أخرج أحمد في المسند عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: «من أحب أن يُمَدّ له في عمره وأن يزاد له في رزقه فليبر والديه، وليصل والديه»(١١٠)، ومهما بذل الإنسان من عمل فلن يجزي والده، إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه ويعتقه، كما أخبر بذلك الرسول (ﷺ)(١١١).

ويؤكد ذلك ما ذكره ابن حجر: أن سليمان بن بريدة روى عن أبيه - رضي الله عنه -: «أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمَّه يطوف بها، فسأل النبي (ﷺ): هل أديت حقَّها؟ قال: ولا بزفرة واحدة»(١١٢)، وعند البخاري في الأدب المفرد: أن الذي أجاب السائل هو ابن عمر رضي الله عنهما، وليس الرسول (ﷺ)(١١٣).

إنَّ برَّ الوالدين لا يقتصر على الوالد المسلم، أو الأم المسلمة، بل هو مطالب ببرهما، حتى وإن كانا كافرين، وليس هذا فحسب، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برِّهما من غير طاعة لهما في الشرك، روى الإمام مسلم في صحيحه

---

(١٠٨) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٦، ص١١٠.

(١٠٩) المسند، مرجع سابق، جزء ٣، ص٢١٨.

(١١٠) مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة، ومسند أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري بن عبدالخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، جزء ٢، ص٢٣٨.

(١١١) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٢٠.

(١١٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٧، ص١٢٦.

(١١٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص٩٢٤، وكذلك: المسند، مرجع سابق، جزء ٤، ص٤، وكذلك: مختصر سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء ٢، ص٢٥١.

عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص: أنه نزل فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل، ولا تشرب، قالت: زعمتَ أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: فمكثتْ ثلاثاً حتى غُشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك على أن تشرك بي...﴾** وفيها **﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾**... الحديث»[114].

وهذه أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - تَقْدُم عليها أمها (قتيلة بنت عبدالعزى) وهي كافرة، فتستفتي رسول الله (ﷺ) قائلة له: «إن أمي قدمت وهي راغبة، وفي رواية: وهي راغمة - أي: ساخطة وكارهة للإسلام - أفأصِل أمي؟ قال: نعم صلي أمك[115]. ونزل قوله تعالى: **﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾** (الممتحنة: ٨).

ولا يمنع كفرُ الوالدين برَّ الأبناء بهما، ولا حتى نفاق الوالدين، وهو أشد من الكفر، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: «أن رسول الله (ﷺ) مرَّ على عبدالله بن أبي ابن سلول وهو في ظل، فقال: غبَّر علينا ابن أبي كبشة. فقال ابنه عبدالله بن عبدالله: والذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب لئن شئت لآتينك برأسه. فقال رسول الله (ﷺ): لا، ولكن برَّ أباك، وأحسنْ صحبته»[116].

ويستمر البر بالوالدين الكافرين حتى بعد مماتهما، فعن علي - رضي الله عنه - أنه أتى النبي (ﷺ) فقال: إن أبا طالب مات. فقال له (ﷺ): «اذهب فوارِه.

---

(١١٤) المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ، جزء ١، ص١٧٧.

(١١٥) المسند، مرجع سابق، جزء ١، ص١١٨، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ١، حديث رقم ١٦١.

(١١٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، جزء ١، صفحة ٩٤.

فقال: إنه مات مشركاً! فقال: اذهب فواره.. وفي الحديث: أن علياً رضي الله عنه عاد إلى رسول الله (ﷺ) بعد ما واراه، فدعا له الرسول (ﷺ)».[117]

وأخذاً من هذا الحديث فإنه يشرع للمسلم أن يتولى دفن قريبه المشرك، وأن ذلك لا ينافي بغضه إياه لشركه، ودفن الولد لأبيه المشرك أو أمّه المشركة هو آخر ما يملكه الولد من حسن صحبة الوالد المشرك في الدنيا[118].

والأمر ببرّ الوالدين ليس مختصاً بهذه الأمة الإسلامية، بل هو مما كتب على السابقين، وما ذلك إلا لأهميته ووجوبه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (البقرة: ٨٣).

ولقد تمثّل المسلمون تلك التوجيهات وتعددت قصصهم في ذلك. فهذا محمد بن المنكدر - رحمه الله - يقول: (بات عمر أخي يصلي، وبتُّ أغمز رجل أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته)[119] فلقد فضّل تغميز قدمي أمّه على قيام الليل، وما ذلك إلا لفقهه رحمه الله.

وأخرج عبدالرزاق في المصنف عن طاووس قال: (كان رجل له أربعة بنين فمرض، فقال أحدهم: إما أن تمرضوه، وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء، قالوا: بل مرضه، وليس لك من ميراثه شيء، فمرضه حتى مات، ولم يأخذ من ماله شيئا»[120] فلقد تنازل عن نصيبه من الميراث حتى يضمن قيامه بآخر حق لوالده عليه.

والمرأة التي غفر الله لها كما أخبر بذلك الرسول (ﷺ) إنما كان بسبب برّها

---

(١١٧) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٦٨.

(١١٨) الدر المنثور، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٦٨.

(١١٩) المصنف، مرجع سابق، جزء ١١، ص١٣٣.

(١٢٠) انظر: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد العاشر، السنة الثالثة، محرم ١٤١٢هـ، الرياض.

بوالديها، ذلك أنه كان لها أم عجوز كبيرة فجاءهم النذير أن العدو يريد أن يغير عليكم الليلة، فارتحلوا ليلحقوا بعظيم قومهم، ولم يكن معها ما تحتمل عليه، فعمدت إلى أمها، فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعيت وضعتها، ثم ألصقت بطنها ببطن أمها، وجعلت رجليها تحت رجلي أمها من الرمضاء حتى نجت(١٢١) فغفر الله لها.

وعلى كل حال فما سيقَ من الآثار والأحاديث في بر الوالدين يتضح لنا منه أمرٌ جليٌّ آخر مصاحب للبر، وهو: أن كل هذه الرعاية التي تقدَّم للوالدين يمكننا أن نعدّها مظهراً من مظاهر رعاية المسنين في المجتمع المسلم، إذ الغالب الأعم أن الوالدين كبيران في السن، فبجانب البر الذي أمر الله به هناك رعاية لمُسِنٌ في المجتمع، وهذا النوع من أظهر أنواع رعاية المسنين في المجتمع المسلم لوجوده في غالب أُسَرِه.

ولقد دلَّس الشيطان على بعض الأبناء، وأوحى إليهم أن الرعاية التي تقدمها الدولة أو الجمعيات الخيرية من خلال دور رعاية المسنين أفضل وأشمل من الرعاية التي يقدمها الأبناء، وبخاصة إذا كان الابن فقيراً، ومن هنا يسوغ له أن يودعهما الدار أو أَحَدَهُما، بِرّاً بهما، وخدمةً لهما حسب ظنه. . .، ولقد صدرت الفتوى بعدم جواز التخلي عن الوالدين أو أحدهما، بحجة أن الخدمة التي تقدمها الدولة لهم من خلال دور رعاية المسنين أفضل وأشمل من الخدمة والرعاية التي قد يقدمها لهما الأبناء في المنزل، بسبب فقر الأبناء، لأن ولاية الدولة ولاية عامة، وولاية الولد ولاية خاصة، وهذه الولاية أوجب وألزم من الولاية العامة(١٢٢).

---

(١٢١) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء ٢، ص٣٧٩، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ٥، حديث رقم ٢٣٠٣.

(١٢٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص٦، وكذلك: الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٣١، واللفظ لمسلم.

المبحث الثاني
رعاية صديق الوالدين بوصفها مظهرا من مظاهر رعاية المسنين في الإسلام

لقد أوصى الإسلام ببر الوالدين في حياتهما، كما فتح باب البر حتى بعد وفاتهما، وجعل من أبواب برّهما صلة صديقهما بعد وفاتهما، فلقد روى عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - : أن رسول الله (ﷺ) قال: «من البر أن تصل صديق أبيك»(١٢٣)، بل عدَّه الرسول (ﷺ) من أبر البر؛ أخرج الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن من أبر البر: صلة الرجل أهل وُدّ أبيه»(١٢٤)، وإضافة إلى كونها صلة لصديق الأب فهي إكرامٌ لصديق الوالدين أيضاً، وهذه خصلة زائدة على الصلة، فلقد روى البخاري: أن أبا أسيد - رضي الله عنه - قال: كنا عند النبي (ﷺ) فقال رجل: يا رسول الله، هل بقي من برّ أبويَّ شيء بعد موتهما؟ قال: نعم، خصال أربع: الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما... الحديث»(١٢٥).

وهذا أمر صريح من الرسول (ﷺ) بحفظ ودّ الأب؛ ولذا حذر من قطعه بالعقوبة، فقال (ﷺ) «احفظ ود أبيك، لا تقطعه، فيطفيء الله نورك»(١٢٦).

والأمر بصلة صديق الأب كان في شرع من قبلنا، فلقد أخرج البخاري: أن عمرو بن عثمان كان جالسا في مسجد المدينة، فمر به عبدالله بن سلام متكئا على ابن أخيه، فنفذ من المجلس، ثم عطف عليه فرجع عليهم، وقال: ما شئت عمرو

---

(١٢٣) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٣٠، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، جزء ٨، ص١٤٧.

(١٢٤) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٣١.

(١٢٥) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٣٢.

(١٢٦) صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٨، ص٦.

بن عثمان - مرتين أو ثلاثاً - فوالذي بعث محمداً (ﷺ) بالحق، إنه لفي كتاب الله عز وجل - التوراة - مرتين: لا تقطع من كان يصلُ أباك، فيطفأ بذلك نورك[١٢٧].

ولقد تمثَّل المجتمع الإسلامي الأول ذلك البرّ وتعامل معه واقعاً عملياً وتطبيقياً، فيروي لنا الإمام مسلم في صحيحه: أن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - كان إذا خرج إلى مكة له حمار يَتَرَوَّحُ عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة، وعمامة يشدُّ بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذ مرَّ به أعرابي فقال: ألست فلاناً بن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة قال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنتَ تَتَرَوَّح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن من أبرِّ البر: صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يُولّي، وإن أباه كان صديقاً لعمر رضي الله عنه»[١٢٨].

وبلغ بهم الأمر أن يسافر أحدُهم ليصل أصدقاء أبيه، ففي المسند أن يوسف بن عبدالله بن سلام قال: «أتيت أبا الدرداء في مرضه الذي قُبض فيه، فقال لي: يا ابن أخي: ما أعمدك إلى هذا البلد؟ أو ما جاء بك؟ قال: قلت: لا، إلاَّ صلة ما كان بينك وبين والدي عبدالله بن سلام..»[١٢٩].

وها هو عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يكرر الأمر مع أبي بردة، فعن هدبة بن خالد عن أبي بردة قال: قدمت المدينة فأتاني عبدالله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلتُ: لا. قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده» وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود[١٣٠]، فأحببت أن أصل ذلك.

---

(١٢٧) المسند، مرجع سابق، جزء ٦، ص٥٠٠.

(١٢٨) الترغيب والترهيب، مرجع سابق، جزء٣، ص٣٢٣، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، جزء ٣، حديث رقم ١٤٣٢.

(١٢٩) عارضة الأحوذي، مرجع سابق، ج٨، ص١٠٧، وكذلك، الأدب المفرد، مرجع سابق، ص١٣٠ مع اختلاف في اللفظ، واللفظ المثبت للترمذي.

(١٣٠) مسند أبي يعلى، مرجع سابق، جزء ٧، ص١٩٧.

إن رعاية المُسِنّين قد لا تبدو ظاهرة من هذه الآثار، ولكن بتأمل بعض جوانبها يتضح لنا ذلك، فمما لا شك فيه: أن صديق الوالدين في الغالب الأعم كبير السن، فعندما يقوم المسلم بصلة صديق والديه وإكرامه فهو في حقيقة الأمر قام برعايةٍ لِمُسِنٍّ في المجتمع إلى جانب برّه بوالديه.

وهذه إحدى صور البر الرائعة التي تساعد أفراد المجتمع على القيام بدمج المسن في المجتمع، كما يؤدي ذلك إلى القضاء على العزلة التي قد يمرُّ بها كبيرٌ مُسِنٌّ، أو يشعر بها، وبهذا التوجيه الكريم استطاع الإسلام أن يخفف من آثار التغيرات الاجتماعية التي يمر بها المسن، والتي ذُكرت في المبحث الثاني، وليس هذا فحسب. بل والتغيرات النفسية، لأن بينها علاقة تأثرية متبادلة كما ذُكر هناك.

فحين يزور أفراد المجتمع أصدقاء آبائهم فهم بذلك يبروا آباءهم، وذلك يعني أن الجيل المتوسط في المجتمع قد ارتبط تلقائيا بجيل كبار السن، وأصبح المسنون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع.

المبحث الثالث
رعاية المسنين في المجتمع المسلم

للمُسِنّ مكانته المتميزة في المجتمع المسلم، فهو يتعامل معه بكل توقير واحترام، يحدوه في ذلك قول الرسول (ﷺ) «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»[١٣١] ويظهر ذلك التوقير والاحترام في العديد من الممارسات العملية في حياة المجتمع المسلم، وجميع هذه الممارسات لها أصل شرعي، بل فيها حث وتوجيه نبوي، فضلاً عن ممارساته (ﷺ) مع المسنين وتوجيه أصحابه نحو العناية بالمسنين وتوقيرهم واحترامهم، وتقديمهم في أمور كثيرة، فها هو (ﷺ) يأمر خادمه أنساً رضي الله عنه صراحة بذلك ففي

(١٣١) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٣٠٢.

الحديث: «يا أنس، ارحم الصغير، ووقر الكبير...» الحديث[١٣٢]، وفي إلقاء السلام أمر (ﷺ) أن «يُسلم الصغير على الكبير...» الحديث[١٣٣] وأن يبدأ الصغير بالتحية، ويلقيها على الكبير، احتراماً وتقديراً له. وفي الكلام أمَرَ (ﷺ) ألا يتكلم الصغير في أمر دون الكبير، روى رافع بن خديج، وسهل بن أبي حثمة أن عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر، فتفرقا في النخل، فقُتل عبدالله بن سهل، فجاء عبدالرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة أبناء مسعود إلى النبي (ﷺ) فتكلموا في أمر صاحبهما، فبدأ عبدالرحمن وكان أصغر القوم، فقال النبي (ﷺ): «كبر الكُبَر. قال يحيى - أحد رواه الحديث - يعني لِيَلِيَ الكلام الأكبرُ...» الحديث[١٣٤]، ففي هذا الحديث: إرشاد إلى الأدب في تقديم كبار السن في الحديث.

ولقد أمر (ﷺ) أن يُبدأ بتقديم الشرب للأكابر. ففي الحديث: أن رسول الله (ﷺ) إذا سُقي قال: «ابدأوا بالكبراء، أو قال: بالأكابر»[١٣٥]، ولقد مارس ذلك (ﷺ) عمليا. تقول عائشة - رضي الله عنها -: «كان يستنُّ وعندَه رجلان، فأُوحي إليه: أن أعط السواك الأكبر»[١٣٦] وقال ابن بطال ف:يه تقديم ذي السن في السواك، ويلحق به الطعام والشراب، والمشي والكلام»[١٣٧].

وفي فعله (ﷺ) عندما أتاه عيينة بن حصن وعنده أبو بكر وعمر - رضي الله

---

(١٣٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٢٧٥، صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٥، ص٩٩. وفي رواية النسائي: «الكبرُ، ليبدأ الأكبر...» انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، جزء ٤، ص٧٦.

(١٣٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، جزء ٤، ص٣٨١، وعزاه إلى أبي يعلى الموصلي ولم أجده عنده.

(١٣٤) مختصر أبي داود، مرجع سابق، جزء ١، ص٤١، وكذلك: رياض الصالحين، مرجع سابق، ص١٧٣، مع اختلاف في اللفظ، واللفظ المثبت لأبي داود. وللحديث شاهد في صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص٩٦.

(١٣٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان ١٤٠٣هـ، جزء ٤، ص٧٦.

(١٣٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، جزء ٧، ص١٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني.

(١٣٧) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، جزء ٢، ص٤٦٦.

عنهم - وهم جلوس جميعا على الأرض فيدعو لعيينة بنمرقة - وسادة - فأجلسه عليها، وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»، وفي رواية أخرى: «إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه»(١٣٨)، وعند الحاكم في المستدرك: أن رسول الله (ﷺ) «كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم»(١٣٩)، ولا شك أن المسنين في المجتمع من ضعفاء المسلمين.

ولمكانة المسنّ ووقاره حثّ رسول الله (ﷺ) الشباب على التشبه بكبار السن، لما لديهم من خصال لا تكون عند الشباب غالباً. فمما رُوي عنه (ﷺ) قوله: «خير شبابكم من تشبه بكهولهم...»(١٤٠) أي: التشبه في سيرتهم، فإنه يغلب عليهم الوقار والحلم، وهما صفتان محمودتان.

وهكذا فالمُسِنُّ له مكانته في حياة الرسول (ﷺ)، ولقد اتبع ذلك أصحابه - رضي الله عنهم - ومن بعدهم، فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يتعاهد امرأة عجوزا في بيتها، فتورد كتب التاريخ: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة. فقال لها: ما بال هذا الرجل الذي يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى...»(١٤١).

ولقد تطبع أفراد المجتمع المسلم بذلك الخلق، وتوارثوا توقير الكبير واحترامه وتقديره، انقياداً لتعاليم دينهم، واتباعاً لسنة رسولهم (ﷺ)، فكان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - من أشد الناس توقيراً لإخوانه، ولمن

---

(١٣٨) التيسير بشرح الجامع الصغير، مرجع سابق، جزء (١)، صفحة ٥٣٠. وقال المناوي - رحمه الله - على إسناده: وفيه من لا يعرف... لكن تعدد طرقه يجبره، وأدرجه الألباني في ضعيف الجامع الجزء ٣، صفحة ١٣٨، حديث رقم ٢٩١٠.

(١٣٩) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٩٨٧م، ص٨٦.

(١٤٠) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ١، ص٤٧٠.

(١٤١) كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات، ابن الجوزي، تحقيق مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، جزء ٣، ص١٠٥.

هو أسنّ منه، فيروي عنه المروزي: أنه جاءه أبو همام راكباً، على حماره، فأخذ له الإمام أحمد بالركاب. وقال المروزي: رأيته فعل هذا بمن هو أسن منه من الشيوخ(١٤٢).

وذكر ابن الجوزي عن ابن سعيد الأشج: أنه قال: «حدثنا ابن ادريس، عن ليث، قال: كنت أمشي مع طلحة بن مصرف، فقال: لو كنتَ أسنَّ مني بليلة ما تقدمتكَ»(١٤٣). فهذا خُلُقهم - رحمهم الله - فالأَسَنّ مقدّم، ولو كان الفارق ليلة، فكيف بسنة أو سنوات؟! فذلك من باب أولى، وروى الحسن بن منصور قال: كنت مع يحيى وإسحاق بن راهويه يوماً نعود مريضاً، فلما حاذينا الباب تأخر إسحاق، وقال ليحيى: تقدم أنت، قال: يا أبا زكريا أنت أكبرُ مني(١٤٤).

وتتوالى الوصايا من الأب إلى الأبناء بامتثال ذلك الخلق والحث على التحلي به وعدم التفريط به، فهذا البخاري يروي: أن قيس بن عاصم السعدي أوصى بنيه حين حضرته الوفاة وصية طويلة جاء فيها: (. . . وسودوا أكابركم، فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس، وزهدوا فيكم. . .)(١٤٥). بل وصل بهم الأمر إلى التشديد في هذه المسألة حتى بلغ بهم إلى الهجر لمن لا يوقر الكبير، فلقد رأى إبراهيم بن سعد شباباً قد تقدموا على المشايخ فقال: ما أسوأ أدبكم، لا أحدثكم سنة(١٤٦).

ولا شك أن مقتضى التوقير والاحترام للمُسنّين في المجتمع المسلم: الاستفادة من خبرتهم وحكمتهم وتجاربهم في الحياة، لذلك قام الإمام أبو حاتم السجستاني (ت٢٣٥هـ)، بتأليف كتاب المعمَّرين من العرب، جمع فيه

---

(١٤٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ١، ص٤٧٠.

(١٤٣) كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات، ابن الجوزي، تحقيق مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، جزء ٣، ص١٠٥.

(١٤٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ٣، ص٢٦٩.

(١٤٥) الأدب المفرد، مرجع سابق، ص٣١٩.

(١٤٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ٣، ص٢٦٩.

أخبار أكثر من (١٠٠) معمّر من العرب، أورد على لسانهم بعض الحكم وتجارب الحياة الطويلة التي مرت عليهم، وبعض القصائد والأبيات الشعرية في الحياة الطويلة، وما يمرُّ على الإنسان فيها[١٤٧].

ولقد تشرَّب المجتمع المسلم ذلك الطبع، وهذا الاحترام والتوقير لكبار السن، وأصبح سمة من سماته، فلا تكاد تجد كتاب حديث، أو زهد، أو توجيهات، أو نصح، إلا ويُعقَد فيه باب أو أكثر عن توقير الكبير، أو تسويده، أو احترامه، أو إكرامه، بل وضعوا قواعد لذلك، فيقرر ابن عقيل: أن مَنْ مشى مع إنسان أكبر منه فيمشي عن يمينه، يقيمه مقام الإمام في الصلاة، وإن كانوا جماعة فيستحب مشي الجماعة خلف الكبير[١٤٨].

وامتد ذلك التقدير والتقديم لكبار السن حتى في كتابة الأحاديث، وترتيب المسانيد حين تأليف الكتب، فها هو بقي من مخلد - رحمه الله - (ت٢٧٦هـ) يقول: لما وضعت «مسندي» جاءني عبيدالله بن يحيى بن يحيى وأخوه إسحاق، فقالا: بلغنا أنك وضعت «مسنداً» قدمت فيه أبا مصعب الزهري ويحيى بن بكير وأخّرت أبانا؟ فقال: أما تقديمي أبا مصعب؛ فلقول رسول الله (ﷺ)، قال: «قدموا قريشا، ولا تقدّموها» وأما تقديمي ابن بكير، فلقول رسول الله (ﷺ): «كَبِّر كبِّر»[١٤٩] يريد السنة و،مع أنه سمع «الموطأ» من مالك سبع عشرة مرة، وأبوكما لم يسمعه إلا مرة واحدة. قال: فخرجا ولم يعودا»[١٥٠].

إذاً فالمُسِنُّ في المجتمع المسلم يعيش في كنف أفراده، ويجد له معاملة خاصة تتميز عن الآخرين، ولم تقتصر هذه الرعاية والعناية على المسن المسلم، بل امتدت يد الرعاية لتشمل حتى غير المسلم، طالما أنه يعيش بين ظهراني المسلمين.

---

(١٤٧) كتاب المعمرين من العرب، أبو حاتم السجستاني، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع، القاهرة ١٤١٣هـ.

(١٤٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية، مرجع سابق، جزء ٣، ص٢٦٦.

(١٤٩) انظر: نص الحديث كاملا فيما سبق من الكلام.

(١٥٠) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، جزء ١٣، ص٢٨٨-٢٨٩.

وها هي كتب التاريخ تسطر بأحرف ساطعة موقف عمر - رضي الله عنه - مع ذلك الشيخ الكبير الضرير، فيذكر أبو يوسف في كتابه الخراج: «أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه فقال: من أيّ أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر رضي الله عنه بيده فذهب به إلى منزله، فرضخ له - أي أعطاه - من المنزل بشيء، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» فالفقراء هم المسلمون والمساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه»[١٥١].

وهذا خالد بن الوليد - رضي الله عنه - يمارس دوره في رعاية المسنين ويعطيهم حقهم من الرعاية والعناية في المجتمع، حتى وإن لم يكونوا مسلمين، فلقد صالح أهل الحيرة، وجاء في صلحه معهم أنه قال: «وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين..»[١٥٢].

ومن بعد خالد بن الوليد - رضي الله عنه - يسير عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - في ذلك الركب المبارك، ويؤدي دوره الرعوي نحو مجتمعه، بغض النظر عن دينه، فها هو يكتب لعامله عدي بن أرطأة في رسالة طويلة ما نصه: «...وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولَّت عنه المكاسب، فأَجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه...»[١٥٣]. ولقد قرَّر أبو يوسف في كتابه الخراج أن الجزية لا تؤخذ من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل، ولا شيء له[١٥٤].

(١٥١) الخراج، أبو يوسف، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، ١٩٨١م، ص٢٥٩.

(١٥٢) الخراج، مرجع سابق، ص٢٩٠.

(١٥٣) الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص١٢١.

(١٥٤) الخراج، مرجع سابق، ص٢٥٤.

وإضافة لتلك الرعاية الخاصة يمكننا أن نلمس صوراً من الرعاية العامة للمسنِّين، وذلك حينما تعجز الأسر عن تقديم الرعاية اللازمة للمسن، أو حينما لا يكون هناك ثمة راعٍ أو مُعِين لذلك المسنّ، فلقد برز في المجتمع المسلم ما يسمى بالأربطة، وهي أماكن تهيأ وتُعَدُّ لسكنى المحتاجين، وأصبح بعضها ملاجىء مستديمة لكبار السن[١٥٥] فالأصل هو رعاية المُسِنّ في أسرته فهو قربة لله - عز وجل - ثم الفرع وهو ظهور هذه المؤسسات الاجتماعية مثل الأربطة والأوقاف والدور الاجتماعية، وهي في نبعها جهود شعبية من أفراد المجتمع المسلم، ثم دخلت الدولة في تنظيمها والإشراف عليها.

المبحث الرابع
رعاية المُسِنِّين في الحروب من قبل الجيوش المسلمة

لم يعرف العالم الحديث آداب الحرب إلا في القرن الماضي، في حين جاء بها الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، ولم تظهر معاهدة رسمية حول آداب الحرب إلا في عام ١٨٥٦م، والتي تسمى (تصريح باريس البحري)، ثم توالت الاتفاقات، وأبرزها: اتفاقات جنيف التي دونت عام ١٩٤٩م، والخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب، وحماية الأشخاص المدنيين. ورغم وجود هذه المعاهدة فإنها لا تطبق إلا في حالة قيام الحرب بين دولتين موقعتين على المعاهدة[١٥٦].

أما في الإسلام: فكانت هذه الآداب الحربية تطبق ابتداء، حتى ولو لم يكن هناك أية اتفاقات أو معاهدات، فها هي سرايا رسول الله (ﷺ) تنطلق يمنة ويسرة

(١٥٥) المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، سعيد عاشور، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م، جزء ٣، ص٣٣٩.
(١٥٦) فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، جمال محفوظ، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، جزء٣، ص٥٣.

ناشرة الخير والنور، ولقد اشتملت وصاياه (ﷺ) وخلفائه من بعده إلى الجيوش على عدد من التوجيهات والوصايا، وشملت جوانب عدة، منها: العناية بالشيوخ وكبار السن، والاهتمام بهم، وعدم قتلهم أو التعرض لهم.

روى الطبراني، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: «كان رسول الله (ﷺ) إذا بعث جيشاً أو سرية دعا صاحبهم، فأمره بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلُّوا وتغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا شيخاً كبيراً... الحديث»(١٥٧).

ويتضح من نص الحديث: أن ذلك كان ديدنه (ﷺ) في كل غزوة أو سرية، ولم تكن محض صدفة أو مقولة يتيمة، خرجت من فم رسول الله (ﷺ)، فالراوي يقول: (كان رسول الله (ﷺ) إذا بعث جيشاً أو سرية...) فاللفظ يدل على تكرار ذلك الفعل منه (ﷺ)، وروى البيهقي عن خالد بن زيد - رضي الله عنه - أنه قال: «خرج رسول الله (ﷺ) مشيعاً لأهل مؤتة، حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله، فقال: اغزوا باسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم... ولا تقتلوا امرأة، ولا صغيراً ضرماً، ولا كبيراً فانياً، ولا تقطعن شجرة، ولا تعقرُن نخلاً، ولا تهدموا بيتاً»(١٥٨).

ولم يتوقف الأمر على وصية من رسول الله (ﷺ)، أو حثّ على عدم قتل الشيوخ فحسب، بل هدد من قتل شيخاً أنه لن يسلم من تبعة ذلك الفعل، فعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله (ﷺ): أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «من قتل صغيراً أو كبيراً أو أحرق نخلاً أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهابها لم يرجع كفافاً»(١٥٩).

ولا يتنافى هذا مع حديث الرسول (ﷺ) الذي يرويه أبو داود عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه: أن رسول الله (ﷺ) قال: «اقتلوا شيوخ المشركين

---

(١٥٧) المعجم الأوسط، مرجع سابق، جزء ٢، ص٢٥٥.

(١٥٨) السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء٩، ص١٥٤.

(١٥٩) المسند، مرجع سابق، جزء ٥، ص٣٤٧.

واستحيوا أشرافهم»[١٦٠] وفي لفظ «استبقوا شرخهم» والشرخ: الغلمان الذين لم ينبتوا. فقتل الشيخ من المشركين محمول على أنه إذا كان يقدر على القتال ويقاتل ضد المسلمين، أما من كان منهم لايطيق القتال ولا ينتفع به في رأي فلا يقتل، وعليه يحمل حديث منع القتل، وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء[١٦١].

ولقد اقتدى الخلفاء الراشدون بهدي رسول الله (ﷺ) في عدم التعرض للمسنين في الحرب، فهذا الصدّيق - رضي الله عنه - يوصي أسامة بن زيد - رضي الله عنه - حين بعثه إلى الشام إنفاذاً لأمر رسول الله (ﷺ) قبل وفاته بوصايا نفيسة، هي رجع صدى لما تلقاه من الرسول (ﷺ) وكان مما جاء فيها: «يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة... الحديث»[١٦٢].

ولم يتوقف الأمر عند هذه الغزوة أو هذا الجيش فحسب، بل تكرر ذلك منه - رضي الله عنه - فيروي مالك في الموطأ: أن أبا بكر الصديق بعث جيوشاً إلى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير ربع من تلك الأرباع... ثم قال: ...وإني موصيك بعشر: لا تقتل امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولاتقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً...[١٦٣].

---

(١٦٠) المسند، مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٨، وكذلك مختصر سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء ٤، ص١٣.

(١٦١) أوجز المسالك إلى موطأ مالك، محمد زكريا الكاندهلوي، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ١٣٩٤هـ، جزء ٨، ص٢٣١.

(١٦٢) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، جزء ٣، ص٢٢٦. وكذلك الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ، جزء٢، ص٢٢٧.

(١٦٣) موطأ الإمام مالك، مرجع سابق ص٢٩٧. وكذلك السنن الكبرى، مرجع سابق، جزء٩، ص١٥٢، وكذلك: فتوح الشام، الواقدي، الناشر عبدالحميد أحمد حنفي، القاهرة، ١٣٦٨هـ، جزء ١، ص٤.

وعلى الدرب نفسه سار عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلقد أوصى قادة جيوشه وكان مما قاله: «...لا تقتلوا هرماً، ولا امرأة، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند حُمَّة النهضات، وفي شن الغارات...»[(١٦٤)].

ولا عجب أن تتوالى هذه الوصايا بالمسنين والحث على رعاية الشيوخ والتأكيد على قادة الجيوش بالحرص على ذلك الأمر من الرسول (ﷺ) ثم الخلفاء الراشدين من بعده فالمعين واحد، والمشرب من نبع صافٍ، هو الإسلام، ذلك الدين العظيم.

المبحث الخامس
بعض الأحكام الفقهية الخاصة بالمُسِنِّين

امتازت شريعة الإسلام باليسر والتخفيف على أتباعها. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ (البقرة: آية: ١٨٥)، ومن المعلوم أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولئن كان هذا لعموم المسلمين فهو لكبار السن والضعفاء بشكل أخص، انطلاقاً من القاعدة الفقهية (المشقة تجلب التيسير)، ومن هنا نجد الإسلام قد راعى في أحكامه الضعف الذي يعيشه كبير السن، ورتَّب على ذلك أحكاما خاصة بهم، تتصف باليسر والتجاوز، مراعاة لحالتهم الصحية والبدنية، فنجد في بعض العبادات لهم معاملة وأحكاماً خاصة. وفيما يلي عرض لها بشكل موجز:

---

(١٦٤) خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ووصاياه. محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٢٢.

أ - الترخيص لكبير السن في إنابة من يحج عنه لكبر سنه وعجزه عن ذلك، أخرج البخاري - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع، قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: نعم»(١٦٥) فهذه الرخصة خاصة بكبير السن دون الصغير.

ب - الرخصة لكبير السن بالإفطار في شهر رمضان حين عجزه، والإطعام عن كل يوم مسكيناً أخذاً من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ (البقرة: آية ١٨٣، ١٨٤) وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية: أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت هذه الآية في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف، فرخص له أن يطعم مكان كل يوم مسكينا(١٦٦).

وأخرج البخاري رحمه الله في صحيحه: أن الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام يفطر، ويطعم. فقد أفطر أنس - رضي الله عنه - بعد ما كبر - عاما وعامين، وأطعم عن كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً(١٦٧).

جـ - أمر النبي (ﷺ) الأئمة الذين يصلون بالناس بالتخفيف في صلاتهم، مراعاة لمن خلفهم من الضعفاء وكبار السن، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن منهم

---

(١٦٥) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص٦٥٧، وكذلك صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٤، ص١٠١. واللفظ للبخاري.

(١٦٦) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، جزء ١، ص٢١٥.

(١٦٧) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٤، ص١٦٣٨.

الضعيف، والسقيم، والكبير. وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[١٦٨].

كما أن الأكبر سناً مقدم في الإمامة في الصلاة إذا تساووا في قراءة القرآن. فعن مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي (ﷺ) أنا وصاحب لي، فلما أردنا الإقفال من عنده قال لنا: «إذا حضرت الصلاة فأذِّنا، ثم أقيما، وليؤمكما أكبركما» وفي رواية أخرى ذكر الراوي: أنهما كانا متقاربين في القراءة[١٦٩].

د - الرخصة لكبير السن في القبلة والمباشرة وهو صائم، فلا حرج عليه فيها، بخلاف الشاب الذي يُمنع من ذلك. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: كنا عند النبي (ﷺ) فجاء شاب فقال: يا رسول الله، أُقبِّلُ وأنا صائم. «قال: لا . . ، فجاء شيخٌ فقال: أُقبِّلُ وأنا صائم؟ قال: «نعم. قال: فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله (ﷺ): «قد علمت لِمَ نظر بعضكم إلى بعض، إن الشيخ يملك نفسه»[١٧٠]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلا سأل النبي (ﷺ) عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب[١٧١]. وفي الموطأ: أن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - سُئل عن القبلة للصائم، فأرخص فيها للشيخ، وكرهها للشاب[١٧٢].

---

(١٦٨) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء١، ص٢٤٨، وكذلك صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٢، ص٤٣.

(١٦٩) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ١، ص٢٨٢، وكذلك صحيح مسلم، مرجع سابق، جزء ٢، ص١٣٤، واللفظ لمسلم.

(١٧٠) المسند، مرجع سابق، جزء ٢، ص٢٤٦، وقال الترمذي: اختلف أهل العلم من أصحاب النبي (ﷺ) وغيرهم في القبلة للصائم، فرخص بعض أصحاب النبي (ﷺ) في القبلة للشيخ ولم يرخصوا للشاب، مخافة أن لا يسلم له صومه، والمباشرة عندهم أشد. وقد قال بعض أهل العلم: القبلة تنقص الأجر، ولا تفطر الصائم، ورأوا أن للصائم إذا ملك نفسه أن يقبل، وإذا لم يأمن على نفسه ترك القبلة، ليسلم له صومه، وهو قول سفيان والشافعي. انظر: عارضة الأحوذي، مرجع سابق، جزء ٣، ص٢٥٩.

(١٧١) سنن أبي داود، مرجع سابق، جزء ١، ص٧٢٦.

(١٧٢) موطأ الإمام مالك، مرجع سابق، ص١٩٩.

هـ - الإذن للمرأة كبيرة السن في ترك الحجاب الشرعي الذي تؤمر به صغيرة السن الشابة قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ (النور، آية: ٦٠) قال المفسرون عند هذه الآية: إن الله رخص للمرأة الكبيرة أن تضع ثيابها عنها. والمراد بالثياب هنا: ما كان على ظاهر البدن، لا الثياب التي على العورة الخاصة، فأباح الله لهن ما لم يبح لغيرهن(١٧٣).

و - ذكر بعض الأئمة أن جلسة الاستراحة في الصلاة - وهي الجلسة التي تكون بعد الفراغ من السجدة الثانية وقبل النهوض إلى الركعة الثانية والرابعة - ذكروا أنها خاصة بمن كَبُرَ سنه. وهذا قول أبي حنيفة ومالك، وأحمد في أحد روايتيه(١٧٤)، فهذا حكم خاص بكبار السن مراعاة لضعفهم، وتخفيفا عليهم، وذلك بعدم القيام مباشرة للركعة، بل يأخذ حقه من الراحة، ثم يقف، ليتابع الإمام، ولقد ثبت: أن الرسول (ﷺ) كان يفعلها بعد أن بدن جسمه وكبر سنه(١٧٥) فعند البخاري - رحمه الله - أن مالك بن الحويرث الليثي - رضي الله عنه - قال أنه رأى النبي (ﷺ) يصلي، فإذا كان في وتر من صلاته، لم ينهض حتى يستوى قاعدا(١٧٦)، وكذلك فعل مالك بن الحويرث - رضي الله عنه - عندما صلى ببعض أصحابه، ليريهم صلاة النبي (ﷺ)، وكان يجلس إذا رفع رأسه من السجود، قبل أن ينهض في الركعة الأولى(١٧٧).

---

(١٧٣) فتح القدير، مرجع سابق، جزء ٤، ص٥٢.

(١٧٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، الجزء ٢٢، ص٤٥١، واختلف العلماء في كونها واجبة أو مسنونة أو مشروعة عند الحاجة؛ انظر في ذلك: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، جزء ٢، ص٣٠١.

(١٧٥) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: عبدالله الجبرين، دار أولي النهي، بيروت، ١٤١٤هـ، جزء ١، ص٥٧٧.

(١٧٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص٢٨٣.

(١٧٧) صحيح البخاري، مرجع سابق، جزء ٢، ص٢٤٠.

المراجع

١ ـ إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان، مرعي المقدسي الكرمي، تحقيق: مشهور حسن محمود، دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ.

٢ ـ أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

٣ ـ الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين، علي فؤاد أحمد، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ١٩٩٢.

٤ ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح الحنبلي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٩٧٧م.

٥ ـ الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦ ـ الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٧ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

٨ ـ التربية والشيخوخة: دراسة للأبعاد التربوية لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، حسن إبراهيم عبدالعال، مجلة رسالة الخليج، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد ٤٨، ١٤١٤هـ.

٩ ـ الترغيب والترهيب، المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠ ـ التوافق عند المسنين، هالة العمران، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة)، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، ١٩٩٢م.

١١ - التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، بدون تاريخ.
١٢ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة.
١٣ - الخراج، أبو يوسف، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، ١٩٨١م.
١٤ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٥ - السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٦ - الشيخوخة، عزت إسماعيل، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٣م.
١٧ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٨ - المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، سعيد عاشور، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
١٩ - المتقاعدون: بعض مشكلاتهم الاجتماعية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، عبدالعزيز الغريب، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، ١٤١٦هـ.
٢٠ - المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢١ - المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سليم سمارة وزملاءه، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ.
٢٢ - المشاكل التي يعاني منها المسنون ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، ثريا عبدالرؤوف جبريل، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للإخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، العددان ٣٤-٣٥، السنة ١١، يونيو ١٩٩٢م.

٢٣ ـ المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٤ ـ المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ.

٢٥ ـ المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٦ ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٤١٠هـ.

٢٧ ـ المنجد، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٥م.

٢٨ ـ أوجز المسالك إلى موطأ مالك، محمد زكريا الكاندهلوي، المكتبة الامدادية، مكة المكرمة، ١٣٩٤هـ.

٢٩ ـ بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ.

٣٠ ـ برامج رعاية المسنين ودور الخدمة الاجتماعية فيها، أسماء الخميس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب ١٤٠٩هـ.

٣١ ـ بهجة قلوب الأبرار، عبدالرحمن بن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، مركز بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١٢هـ.

٣٢ ـ تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٣ ـ تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٩٨٧م.

٣٤ ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الباز، مكة المكرمة.

٣٥ ـ تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، محمد بن

علي الشوكاني، تحقيق: عقيل المقطري، مكتبة دار القدس، صنعاء، ١٤١١هـ.

٣٦ـ تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ابن الجوزي، تحقيق: عرفة حلمي عباس، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣٧ـ جامع الأحاديث القدسية، أبو عبدالرحمن عصام الدين الصبابطي، ١٩٩١م.

٣٨ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٣٩ـ جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٠ ـ خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووصاياه، محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

٤١ ـ دراسة سوسيولوجية حول ظاهرة الشيخوخة، جلال الدين الغزاوي، جامعة الكويت، حوليات كلية الآداب، الحولية التاسعة، ١٤٠٨هـ.

٤٢ ـ دور طريقة تنظيم المجتمع في إشباع الاحتياجات الاجتماعية للمسنين، منى شويكة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الخدمة الاجتماعية، الرياض، ١٤١٤هـ.

٤٣ ـ رسالة فيما يزيد الأعمال ويرد القضاء، أحمد المفتي بغلبه، تحقيق: عامر الزيباري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ.

٤٤ ـ رعاية المسنين اجتماعيا، محمد سيد فهمي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٤م.

٤٥ ـ رعاية المسنين في التراث العربي الإسلامي، عبدالعزيز كامل، في (رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة) المكتب التنفيذي، البحرين ١٩٩٢م.

٤٦ ـ رياض الصالحين، النووي، تحقيق: عبدالعزيز رباح، وأحمد الدقاق، دار الوراق، الرياض، ١٤١٦هـ.

٤٧ ـ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

٤٨ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني.

٤٩ ـ سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٥٠ ـ سنن أبي داود، الحافظ أبي داود، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٥١ ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد عرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٢ ـ شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق عبدالله الجبرين، دار أولي النهي، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٣ ـ شرح السنة، البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٤ ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى البُغا، دار القلم، بيروت، ١٤٠١هـ.

٥٥ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٥٦ ـ صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٥٧ ـ صفة الصفوة. ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٥٨ ـ طب الشيخوخة والمريض المسن، ستيفن وشرودر، ترجمة ماجد العطار، دار القلم العربي، سوريا، ١٤١٣هـ.

٥٩ ـ عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٦٠ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ.

٦١ـ فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦٢ـ فتوح الشام، الواقدي، الناشر عبدالحميد أحمد حنفي، القاهرة.

٦٣ـ فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، جمال محفوظ، في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

٦٤ـ قضايا الشيخوخة، خالد الطحان، في (التقدم في السن - دراسة اجتماعية نفية -)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ.

٦٥ـ كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات، ابن الجوزي، تحقيق مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.

٦٦ـ كتاب المعمرين من العرب، أبو حاتم السجستاني، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع، القاهرة ١٤١٣هـ.

٦٨ـ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦٩ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٧٠ـ مجلة الفيصل عدد ٢٤٣، رمضان ١٤١٧هـ.

٧١ـ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد العاشر، السنة الثالثة، محرم ١٤١٢هـ.

٧٢ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيمثي، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٧٣ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، بدون تاريخ.

٧٤ـ مختصر زوائد مسند البزار، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري بن عبدالخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ.

٧٥ ـ مختصر سنن أبي داود، الحافظ المنذري، تحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٧٦ ـ مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي التميمي، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، بيروت.

٧٧ ـ مشكلات التقدم في السن، آغا، في (التقدم في السن - دراسة اجتماعية نفسية -)، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ.

٧٨ ـ موطأ الإمام مالك، إعداد أحمد عرموش، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٧٩ ـ نحو برامج مواجهة العمل الاجتماعي مع المسنين، جنان العمري، في (دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي) مكتب المتابعة، البحرين، ١٩٨٥.

٨٠ ـ نحو رعاية متكاملة للمسنين، نادية حليم، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، المجلد ٢٨، العدد الثاني، مايو ١٩٩١م.

٨١ ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

The Social Welfare of the Aged in Islam

'Abdul- Lah' ibn Nasir' al-Sad-han

This paper concentrates on studying the various aspects social welfare rendered to the aged in Islam as well as identifying the most important bases of this type of service.

In the introduction, the researcher defined the meaning of the term "aged": lexically and according to the sociologists. then he clarified the variables and types of changes that coincide with this stage of life, whether physical, psychological or economical, with a special reference to the Islamic point of view towards these variables and changes. He aglso tried to figure out the requisites on which this service has been founded in Islam.

The researcher has listed the different categories and levels of the aged according to the scale of welfare priorities in Islam concerning them: parents and their friends are to be looked after by the former's descendants; the Muslim aged in Muslim society, by the Muslim state and/or the Muslim community. Finaly, the non-Muslim aged are to br looked after by the Muslim state, Community or the Muslim army.

The most important findings in this study are:

1- The difficulty to define age boundaries within which can be considered an aged.
2- The Islamic point of view towards the variables and changes that coincide with the old age stage of life.
3- Identifying eight requisites on which welfare of the aged in Islam is based.
4- The study discovered that the aspects and types of welfare The aged are provided with in Islam are numerous and include those of modern life.

In general, the study has concluded that the aged in Islam enjoy a special and distinguished status that include respect, care and dignity.

Thus, the study can be considered an attempt to attribute the aspects and types of social welfare rendered to this group to thier origins in Islam.